

## الصين من أين وإلى أين؟

أ.د. الصاوي الصاوي احمد

أستاذ الفلسفة ومنسق العلاقات الدولية بجامعة بنها

### المخلص:

اختلفت الآراء حول النهضة التي تعيشها الصين ما بين مؤيد ومعارض وصامت لا يبدي وجهة نظره . وأصبحت حديث العالم وذهب البعض إلي أن " لدى الصين أسرار غير متناهية، لذلك فإننا لا نعرف كل شيء عن الصين، ولكن ربما نستطيع أن نتعلم شيئاً منها" كل هذا وغيره جعلنا نتساءل لماذا كل هذه المواقف المتعارضة والمتناقضة حول الأوضاع في الصين؟ هل لأن الصين أصبحت من الدول العظمى المنافسة لأكبر الدول تقدماً وتطوراً، وما سر تقدم الصين ونهضتها؟ ومن المستفيد من تقدم الصين الحضاري والتكنولوجي والاقتصادي ومن الخاسر؟ ومن أين جاءت نهضة الصين وإلى أين تسير؟ كل هذه التساؤلات وغيرها جعلتني كمهتم بالشأن الصيني أتحري البحث عن : من أين جاءت نهضة الصين المعاصرة وإلى أين مصيرها؟ ومن المستفيد ومن الخاسر من هذا الحراك الصيني؟ ومن أين بدأت؟ وإلى أين هي؟ وهل بدأت من الصفر أم من خلال استرجاع حضارتها السابقة التي يشهد لها الجميع؟ فطلت كل هذه الأسئلة تجول في خاطري للبحث عن سر هذه النهضة المذهلة وعن مستقبلها؟ وهذا يتضح في التقرير .

**Abstract:** To begin with, there are many differences in people opinions about the development in China, where there are people who agreed with that or reject and deny this idea or the other people whom didn't declare about their opinion. And the opinions about the China developments became the talk of the world, and some went to the fact that "China has endless secrets, so we do not know everything about China, but we could learn something from China", all this and more made us wonder why all these contradictory opinions about the situation in China? Is it because China has become one of the great countries and act as a huge competitor with the most developed countries, what is the secret of China's progress and renaissance? All these questions and others made me, as an interested person in Chinese topics, focus my search for: Where did the rise of contemporary China come from and where is its fate? Who benefits and who loses from this Chinese movement? Through my knowledge of Chinese affairs, whether at the civilized, cultural or scientific level, I found that China, which during the past century was considered one of the developing and poor countries in most of its fields, like many developing countries, has changed greatly in most aspects of life. And when did she start? And, where is she? All these questions kept circling in my mind to search for the secret of this amazing renaissance and its future? This is what we will show in this article

## مقدمة :

مرت الصين عبر العصور وفي عصرنا الحاضر بالأخص بالعديد من المتغيرات والأوضاع التي لفتت أنظار العالم كله سواء على المستوى الرسمي أو الشعبي، وأصبحت حديث العالم بين مؤيد أو معارض، أو خائف ومرهوب من نهضتها، وهناك من هو صامت لا يتكلم ولا يعرف ما بداخله نحوها، وكما قال الرئيس الأمريكي الأسبق "نيكسون" في مذكراته " لدى الصين أسرار غير متناهية.

كل هذا وغيره جعلنا نتساءل لماذا كل هذه المواقف المتعارضة والمتناقضة حول الأوضاع في الصين؟ ولماذا في هذا العصر بالذات؟ هل لأن الصين أصبحت من الدول العظمى المنافسة لأكبر الدول تقدماً وتطوراً، وأصبحت تمثل خطراً على بعض دول العالم؟ وما سر تقدم الصين ونهضتها؟ ومن المستفيد من تقدم الصين الحضاري والتكنولوجي والاقتصادي ومن الخاسر؟ ومن أين جاءت نهضة الصين وإلى أين تسير؟ وهل تستحق هذه النهضة فائقة السرعة كل هذه الإرهاسات والتخوفات والتساؤلات السائدة في العالم المتقدم والنامي؟

هذه التساؤلات وغيرها جعلتني كمهتم بالشأن الصيني أتحرى البحث عن : من أين جاءت نهضة الصين المعاصرة وإلى أين مصيرها؟ ومن المستفيد ومن الخاسر من هذا الحراك الصيني؟ ومن خلال معلوماتي بالشأن الصيني سواء على المستوى الحضاري أو الثقافي والعلمي، وجدت أن الصين التي كانت تعد خلال القرن الماضي من الدول النامية والفقيرة في معظم شؤونها مثل معظم الدول النامية ، قد تغيرت تغيراً كبيراً في معظم مجالات الحياة .وتأكد ذلك عندما زرتها لأول مرة منذ حوالي أربعة عشر عاماً ورأيتها على حقيقتها، وبالرغم من أنها كانت في بداية نهضتها إلا أنها أذهلتني مما شاهدته على الطبيعة مما دعاني للبحث عن سر نهضتها. ومن أين بدأت؟ وهل بدأت من الصفر أم من خلال استرجاع حضارتها السابقة التي يشهد لها الجميع؟ فظلت كل هذه الأسئلة تجول في خاطري للبحث عن سر هذه النهضة المذهلة وعن مستقبلها؟

ومن خلال البحث والمشاهدة وجدت أن نهضة الصين الحالية ترجع إلى العديد من الأسس والمراحل أولها: إصرار الصين على استكمال واسترجاع حضارتها القديمة والتي تخللتها مراحل من القوة والضعف، فهي صاحبة حضارة من أعرق الحضارات شأنها في ذلك شأن حضاراتنا المصرية القديمة والبابلية والأشورية. ومن هنا وجدت أن هذه الحضارة تمتد أصولها إلى أكثر من خمسة آلاف عام،

وقد أسعدني الحظ بمشاهدة معظم أرجائها خلال زيارتي لها لأكثر من عشرين زيارة تعرفت خلالها على معظم معالم هذه الحضارة المتباينة والمتعددة والتي نبعت من تنوع الثقافات والفلسفات الصينية في كثير من جوانبها الحياتية من قيم إنسانية وروحية وعادات وتقاليد ونظم سياسية... الخ، وبالرغم من أنه قد ساد هذه الحضارة فترات من الركود لأسباب عديدة منها:

ضعف بعض الحكومات المركزية بسبب هجوم المغول والتتار وغيرها من متغيرات أدخلت الصين في عصور مظلمة حيث وصلت الصين إلى حالة من الضعف والفوضى وساد الإدمان والفقر معظم أرجاء البلاد. لكنها استطاعت أن تعيد استقلالها السياسي من سطوة المغول والتتار الذي ظل تأثيره عليها حتى بداية القرن العشرين، حيث انتقلت الصين إلى القرن العشرين محملة بالعديد من جوانب الضعف، وساعد على ذلك الصراعات الداخلية والخارجية التي أدت إلى وجود حالة من التفكك والحروب الأهلية وانقسمت إلى معسكرين هما معسكر "الكومينتانج" والمعسكر "الشيوعي" وانتهى هذا الصراع في عام (1949) م عندما حسم الشيوعيون الأمر وأسسوا جمهورية الصين الشعبية.

وفي عام (1966) م أطلق الزعيم الصيني "ماوتسي تونج" مبادئ الثورة الثقافية التي أدت إلى وجود تقلبات وصراعات كثيرة في المجتمع الصيني. منها على سبيل المثال الوضع الاقتصادي الصيني الذي بدأ منذ (1949) وحتى عام (1978) طبقاً للنموذج السوفيتي الاشتراكي، والذي كان خالياً من وجود رأسمالية أو ملكية خاصة للأفراد فكل شئ ملك للدولة وهي المتحكمة فيه، وفي عام (1976) حدث تحول كبير بدأ بتحول الاقتصاد الاشتراكي الخالص إلى اقتصاد مختلط والذي وضع لبناته "دينج شياوبينج" بنموذج مقنن للاقتصاد المختلط موجه نحو السوق العالمية وبالرغم من هذا التحول الاقتصادي إلا أن الصين لم تسلم من القلاقل والاحتجاجات التي حدثت في ميدان "تيان آن مان" حيث طالب الشعب بمزيد من الحقوق المعيشية، ومن هنا بدأت الصين بالتركيز على الصناعة والتجارة الخارجية بوصفها وسيلة رئيسية للنمو لهذا قامت بإنشاء العديد من المناطق الصناعية والاقتصادية والتجارية في معظم أرجاء الصين، كما قامت بتدعيم هذه المناطق بكل الامكانيات من مراكز الأبحاث العلمية والأكاديميات والجامعات المتخصصة في التكنولوجيا الحديثة كما هو الحال في كثير من المدن مثل مدينتي تيانجين وشنجن حيث يوجد بهما أكبر شركات التكنولوجيا المعاصرة مثل شركات تيدا وهواوي، وقد شرفت بزيارة هذه المدن عدة مرات.

أما عن الصراع الخارجي فمنذ أن اعتمدت الصين الإصلاحات الاقتصادية في عام (1978) وأصبحت أسرع الاقتصادات نمواً في العالم وأكبر دولة مصدرة وثاني دولة مستوردة، كما أصبحت عضواً دائماً في مجلس الأمن وعضواً في العديد من المنظمات الدولية مثل منظمة التجارة العالمية والأبيك والبريك ومنظمة شانغهاي ومجموعة العشرين وأصبحت لها ترسانة نووية معترف بها وتمتلك أكبر قوة عسكرية ومن هنا أصبحت قوة عظمى، مما أدخل الصين في كثير من الصراعات والمنافسات الاقتصادية العالمية حتى وصلت إلى نوع من الحروب التجارية مع أكبر الدول مثل أمريكا. ويعد السر وراء هذه النهضة السريعة في الاقتصاد والصناعة هو أن الصين مرت منذ الثورة الثقافية ومن خلال حركة الإصلاح والانفتاح التي وضع أسسها الزعيم " دنج شياو بينج " بالعديد من المراحل والتي تتلخص في:

المرحلة الأولى: من عام (1978) إلى عام (1982) والتي خصصت لبناء المواطن الصيني وإزالة الفوضى وإعادة النظام وانطلاق الإصلاح من خلال "اعرف نفسك" أي معرفة الذات والهوية بما لها من إيجابيات وسلبيات وتحقيق ذلك في المرحلة الأولى للخطة من خلال تطبيق منهج كونفوشيوس الشامل في التربية والتعليم كل هذا دفع أنظمة الحكم والمواطن الصيني المعاصر أن يعودوا بهويتهم إلى الهوية الحضارية القديمة من حيث اللغة والقيم الأخلاقية والثقافات الأصيلة ، فبالرغم من تعدد اللهجات في الصين إلا أن اللغة الصينية القديمة هي اللغة الرسمية للدولة والثقافة الكونفوشيوسية هي السائدة في معظم معالمها من فنون وعلوم وموسيقى وعادات وتقاليده وسلوك أخلاقي،...إلخ.

حيث كان لفلسفة كونفوشيوس (551) ق.م وتلميذه منشيوس دور كبير في بناء هوية الإنسان الصيني على مر العصور، حيث غرسا في أبناء الصين طرق التربية الصالحة التي جعلتهم مواطنين صالحين، والتي تتمثل في الطاعات الخمس وهي : طاعة المحكوم للحاكم وطاعة الأبناء للأباء وطاعة الزوجة لزوجها وطاعة الصغار للكبار، ورعاية الكبار للصغار والاحترام المتبادل بين الأصدقاء بعضهم البعض.

و مع تطبيق مفهوم التناغم Harmony داخل المجتمع الصيني وخارجه ، كما طبق النظام الحاكم نظرية الين واليانج Yin&Yan التي تقوم على فلسفة التكامل بين المتناقضات داخل الوطن وخارجه، وقد لاحظت أن معظم الشعب الصيني ملتزم بهذه القيم في تعاملاته مع الآخر. وأخذت الصين بهذه المبادئ في تأسيس علاقاتها مع العديد من الدول مثل مصر والتي تتمثل في الاتفاقية التي وقعت في عام (1956)م. والتي بدأت تجنى ثمارها من خلال العلاقات المتميزة بينهما والتي يمر عليها الآن (64) عاما.

المرحلة الثانية من (1982) عام (الى بداية التسعينات للقرن العشرين وتسمى مرحلة الانطلاق والإصلاح الشامل، وحددت أهداف الإصلاح انطلاقاً من معرفة الأنا إلى معرفة الآخر وتحقق ذلك بإرسال البعثات الطلابية إلى جميع دول العالم لمعرفة كل شئ عن الآخر في جميع المجالات الحياتية والثقافية والاقتصادية والصناعية والتجارية والعلمية والتكنولوجية والتركيز على مجالات الهندسة الإلكترونية والتكنولوجيا والاقتصاد والتجارة والإدارة الحديثة وسلوكيات الشعوب وغيرها بغرض تطوير نظمها في كل المجالات وسمي هؤلاء المبعوثين بـ "التقنوقراطيون" الذين اعتمد عليهم في تنفيذ المرحلة التالية من خطة الإصلاح وهي الانفتاح على العالم في جميع المجالات لكن بحذر شديد.

أما المرحلة الثالثة من (1992) الى عام (1992) " مرحلة صمود الصين أمام الفوضى السياسية والمالية من خلال تحديد أهداف الإصلاح والانفتاح على العالم الخارجي، أما المرحلة الرابعة من عام(2002) الى (2002) تم فيها تأسيس البنية التحتية للاقتصاد الوطني والمشاريع العملاقة للقطاع الحكومي والخاص، وارتفاع مستوى المعيشة وتطبيق المزيد من أسس العدالة والإنصاف في تسريع التنمية، ودفع عملية إصلاح الهياكل الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية على نحو أكثر تناسقا وتستكمل هذه المرحلة بمرحلة خامسة وضعت خطتها الصين مؤخراً والتي تتمثل في مبادرة "الحزام والطريق" التي أطلقها الرئيس الصيني "شي جين بينغ" عام (2013) والتي تهدف إلى إقامة شبكة من التجارة البينية والبنية التحتية لربط الصين بقارات آسيا وأوروبا وأفريقيا من خلال الحزام الاقتصادي لطريق الحرير للقرن الحادي والعشرين، وتضم المبادرة حالياً أكثر من (120) دولة ومنطقة منهم مصر، كما تم إنشاء أكثر من (56) منطقة للتعاون الاقتصادي والتجاري في (20) دولة على طول خط "الحزام والطريق"، فضلاً عن توقيع حوالي (17) دولة عربية على وثائق تعاون مع الصين حول هذه المبادرة.

ومن خلال تطبيق خطة الإصلاح والانفتاح استطاعت الصين في أول عشر سنوات حل مشكلة الغذاء والكساء وجذب رؤوس الأموال وتطبيق شعار "صنع في الصين" بالمشاركة بين المؤسسات الحكومية والخاصة والأجنبية وتم تطبيق هذا النظام في خمس مناطق، بعدها تم في (14) منطقة خاصة، كما قاومت الصين الفساد الذي ساد البلاد بالرقابة على المؤسسات الحكومية وتشديد العقوبات وتحديد النسل.

ووضعت الصين دستوراً محكماً للسيطرة على الفوضى، نص هذا الدستور على المجالات التي يسمح فيها بحرية الرأي والتي لا يسمح فيها، كما قامت ببناء أكبر جيش في العالم الذي يبلغ تعدادة حوالى ثلاثة ملايين جندي ولديها قوة نووية استراتيجية، ومن حيث المواصلات الداخلية والخارجية، أصبح للصين الآن أكبر شبكة مواصلات داخلية وخارجية ممثلة في الطيران الداخلي والخارجي والقطارات فائقة السرعة وانتقلت في النقل الداخلي من الدراجات العادية إلى المترو وأحدثت السيارات، ومعظم هذا صنع في الصين بأحدث تكنولوجيا. وبلغ الأغنياء والأثرياء في الصين أكثر من عشرة ملايين نسمة، كما تفاوت النمو الاقتصادي في الصين حسب المناطق الاقتصادية الريفية والحضرية.

وقد أثبتت الصين قدرتها على مواجهة أصعب الكوارث بكفاءة عالية مثال ذلك قدرتها على التغلب على جائحة كورونا الحالية بطرق أذهلت العالم. كما نجحت الصين في كسب ود الشعوب من خلال التواصل الثقافي والاجتماعي وأكبر مثال على ذلك ما يقوم به المركز الثقافي الصيني بالقاهرة من أنشطة ثقافية وسياحية بهدف الانفتاح المقتن على العالم.

ونظراً للإجراءات الصارمة التي تتخذها الصين أصبح الاقتصاد الصيني منذ تحريره في عام (1978) أسرع نمواً في العالم ويحتل المرتبة الثانية عالمياً، وتعد الصين رابع دولة في العالم من حيث عدد السياح ، كما أصبحت أكبر ممتلك أجنبي للدين العام الأمريكي وسادس أكبر مستثمر خارجي في العالم، كما تحتل المرتبة التاسعة والعشرين في مؤشر التنافسية العالمية، ودخلت (27) شركة صينية حسب قائمة جلوبال نور(500) في عام(2009)، وتوجد أربع شركات صينية من أكبر عشر شركات في العالم منها شركة بتروتشاينا، كما بدأت الصين في توثيق علاقتها الخارجية والدبلوماسية مع جميع دول العالم، وأصبح لديها الوعي بكل متطلبات السوق العالمي من حيث المخرجات التكنولوجية والصناعية التي تنتجها مصانعها وتتناسب مع جميع المستويات الاجتماعية والاقتصادية، فلديها المنتجات منخفضة التكلفة التي تتناسب مع الشعوب الفقيرة والمنتجات ذات الجودة العالية والمكلفة للشعوب الغنية، كما أنها تسيطر على الصناعات الاستراتيجية مثل الطاقة والصناعات الثقيلة والإلكترونية والذكاء الاصطناعي.

وقد قامت الصين بكل هذا من خلال خطتها الاستراتيجية التي قامت على دراسات علمية. قام بها أبنائها لدراسة احتياجات السوق العالمية ، وقد أشرفت على عدد من هذه الدراسات التي قامت بدراسة احتياجات السوق المصرية للقيام بتصنيع المنتجات التي تتناسب مع جميع فئات المجتمع المصري، وقد أدى كل هذا

وغيره من تطور إلى خلق روح من المنافسة بين الصين وكثير من الدول التي كانت تعد من أقوى الدول اقتصادياً بسبب تراجعها وتقدم الصين، وأصبحت هذه المنافسة من أهم أسباب الحرب التجارية بين الصين وأمريكا .. هذا عن أسباب نهضة الصين.

- الصين إلى أين؟

هذا السؤال ذو البعد الميتافيزيقي شغل عقول وقلوب معظم شعوب العالم على المستويين الرسمي والشعبي حتى الصينيين أنفسهم يشغلهم هذا السؤال نظراً لأن الخطة الصينية المستقبلية غير محددة المعالم نظراً لطموحات الصين اللامحدودة . صحيح أن الصين وضعت في خطتها الرابعة عشرة تحديث المجتمع الاشتراكي بحلول عام (2035) وبناء دولة غنية وقوية بحلول عام (2049) ، وأشار إلي ذلك "تشويتان يونج" في كتابه "الحلم الصيني .." مع التأكيد على أن الحلم الصيني لن يتحقق إلا من خلال مثابرة جميع الصينيين وشجاعتهم وإبداعاتهم وعزائمهم، ولن يتم هذا من خلال طبقة بعينها أو بمساعدة الآخرين، مؤكداً أن روح الأمة المفعمة بالتحدي والصمود والأمل هي التي تؤدي بها إلى حياة أفضل.

حيث تتمثل أحلام الصينيين على المستوى الداخلي في "التحول من الحياة في القرى الفقيرة إلى المدن الحضارية والحصول على فرص عمل مناسبة لكل شخص وحلم الضمان الاجتماعي في الحياة والتمتع بالخدمات العمومية وعيش جميع الأسر في بيئة صحية وجميلة وأمنة. وإجمالي الحلم هو ثراء الشعب الصيني وازدهار الدولة المعاصرة. لكن ما يقوله "تشويتان يونج" هل هو الحلم الحقيقي للصينيين؟ أظن أنه حلم متواضع، صحيح يأمله الكثيرون من الصينيين لكن هناك ما هو أكثر من هذا، فمن عادة الإنسان عدم الرضا بما هو موجود، وكما يقال إثنان لا يشبعان طالب علم وطالب مال، لذا يتوقع أن الصين في ظل مبادرة الحزام والطريق سوف تفوق كل التوقعات في تفوقها اقتصادياً وتكنولوجياً وسياسياً وثقافياً واجتماعياً وستسبق كل الدول التي على القمة الآن ، والدليل على ذلك خوف أكبر وأقوى الدول اقتصادياً وعسكرياً من النهضة الصينية. وأرى أن الصين ستكون أكبر القوى العظمى الناعمة في القريب وستسيطر على العالم باقتصادها واكتشافاتها العلمية والثقافية، ولكن سيظل التساؤل: الصين إلى أين ؟ مطروح للإجابة عليه.